

قُرآنًاً عربياً غير ذي عِوَجٍ



www.balagh.com

عاشت أجيال عديدة من أُمّة الإسلام في كنف اللغة العربية الجميلة؛ لأنها تربت على مائدة القرآن الكريم العربي المعجز؛ لذلك استقام لسان أبنائها بلغة صحيحة بليغة، حتى قبل أن يدخلوا المدارس، فيما كان وما زال يُعرف بالكتابي؛ لذلك أفادوا عليهم بنور القرآن في أفهمهم، وعقولهم، وأرواحهم، وأبدانهم، ولسانهم.

وبالتالي ازدهرت اللغة العربية نثراً وشاعراً، بينما نجد الآن المدارس والجامعات على كثرتها لم تول القرآن الكريم أو لغته العربية الفصيحة اهتماماً، بل مُنْعِنْ فيها ضرب أمثلة البلاغة من القرآن الكريم، ادعاء زور أَنَّه مراعاة لمشاعر الطلاب النصارى الذين عهدناهم يحفظون بعض آيات القرآن الكريم ليستشهدوا بها في موقف شتى، من الخطابة والبيان، ومن ضرب الأمثلة، بل لتكريم السيدة مريم البتول خاصة عند ربهَا - عزّ وجلّ - يفعلون ذلك عن طيب خاطر ورضاً، فلا تتمسحوا في الإخوة النصارى، وأظهروا ما تكذّبونه من بغض لغة العربية، وتغريب في مفاهيمكم، وتبعية لا تتحقق عزة ولا كرامة في شتى المناحي، وهذا هو الجيل الجديد لا يُحسن فراءة بضع آيات من كتاب الله، ولا يذوق حلا لغته، بل يتندر بالقلقة في لغته الجميلة، فلا استقام لسان أبنائه، ولا استقام ولاؤهم لعروبتهم ودينهم وقرآنهم.

- لسان عربي مبين:

وقد نقلت الأستاذة الدكتورة نعمات فؤاد - جريدة "الأهرام"، وهي مناضلة صلبة عن لغتنا العربية، ولا نذكرها على أهانة - نقلت أنّ اليابان تمنع أن يتعلم أبناؤها أيّة لغة أجنبية قبل سن الخامسة عشرة، وقد أكبس اللغة الألمانية انتشارها تعصباً أهلهما لها، بل كيف أجبر اليهود العالم على معرفة اللغة العبرية، وهي لغة كانت قد ماتت فعلاً بين لغات العالم، وتأمل يا أخي ما نجنيه الآن من جهل بالقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، ولو أنزله الله أعمىًّا لقالوا: لولا فصلت آياته (ولَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر/ 17).

بل تأمل صاحبتنا ولغتها كيف انحدرت وتدحرت واعوج لسانها وكتابها، ولغة الخطاب والتراسل ومفردات الأدب، والانحطاط في أداء الأغاني والأفلام والمسلسلات والمسرح والسينما والتلفزيون، في كل نواحي حيّاتنا الأدبية.. وللغة شرف الأُمّة ولسانها، فلو قطع لسانها فلتتعلم أن عدوها هو الذي أراد لها أن تخسر، وأراد لها أن تبتعد عن فهم قرآنها الذي هو عزها وسيادتها على العالمين (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) (الزخرف/ 44)، نعم سوف يسألون ماذا صنعتم بهذه العزة؟ وكيف ضيعتم هذا الشرف؟ وهل بقي لكم بعده شيء تعتزون وتفخرون على باقي الأمم؟ إنّ اليهود قالوا لعمر بن الخطاب (رض): لقد نزلت عليكم معاشر المسلمين آية لو نزلت علينا معاشر اليهود لجعلنا يوم نزولها عيداً (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَرْمَمْتُ عَلَيْكُمْ رَعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ) (المائدة/ 3). فأخبرهم أنّ الله جعل يوم نزولها عيداً فعلاً، فقد نزلت في حجة الوداع يوم عرفة.

- أبلغ شهادة:

لذاك اشتكتنا رسول الله (ص) في القرآن الكريم لربه - عزّ وجلّ - بكلام ربه وجعلنا نقرأ شكواه منا لربه بلساننا لنشهد على المشكوا منه (المسلمين) لصالح الشاكبي (الرسول (ص)) إلى المشكوا إليه (إنّ عزّ وجلّ)، فليس أبلغ من ذلك شکواه ولا أوقع من هذه شهادة (وَقَالَ الرَّسُولُ يَأَرَبِّ إِنْ قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان/ 30).

ولقد تعلمنا من كل دروس فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - يرحمه الله - وعن جميع أساتذتنا ومشايخنا ومرشدينا إلى طريق الخير، تعلمنا تذوق حلاوة القرآن بلسانه العربي، فاللسان هو الذي يذوق الحلاوة، ولا يذوق حلاوة القرآن العربي إلا اللسان العربي الفصيح الصريح، ولقد كانت للفظ العربي عند من يفهمه أبعاد وتداعيات واستعارات معنوية عديدة، لا تسعها أيّة كلمات بديلة في أي لغة من لغات العالم، فكيف بكلمات الله؟ ينقلها جبريل الأمين لينطق بها لسان المصدق المصدق (ص) أوّل من ينطق.

- اعوجاج اللسان:

وكذلك وهي الحديث لمن أوتني جوامع الكلم من قبل ربه عزّ وجلّ، تأمل يا أخي في الأمر الرباني: (وَأَنْۤ أَرْتُۤ وَالْقُرْآنَ) (النمل/ 92)، إن لفظ "يتلو" ليس فقط يقرأ، ولا فقط يقرأ بأحكام التلاوة، ولكن يقرأ القرآن بأحكام التلاوة ثم يتلوه أي يتبعه في كل أمر ونهي، وكأنّه يسير خلفه، فمن الاشتقاقة جاء فلان وتلاه فلان أي تبعه وسار في أثره.. كذلك أمر سبحانه، كيف هذا؟ (قُلْ تَعَالَوْا أَرْتُۤ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) (الأنعام/ 151)، "تعالوا": أي أقبلوا ولكن ليس فقط أقبلوا بل أقبلوا وارتفعوا من العلو، ارتفعوا عن دنياكم وطينة ماديتكم حتى تكونوا في حالة سمو وعلو تستطيعون عندها أن تستقبلا الوحي الرباني الكريم، وتكونوا أهلاً لأن تسمعوا حق السمع وتطيعوا حق الطاعة، فهل وعيتنا أهمية لغتنا العربية وخطر بعدها، واعوجاج لساننا بها؟ وأدركنا أيّة جريمة ترتكب في حق ديننا وقرآنناً وعروبتنا حين نبتعد عنها؟ أو نبعد عنها، كيف؟ بحسن نية أو بسوء نية بأيدينا أو بأيدي أعدائنا، وهل أحمسنا بخطر الجيل الجديد، الغريب للسان، المتغرب المبخل والرغبات والقيم والثقافات، على أمته، وخطره على نفسه بضياعه؟ "فمن ابتغى الهدى في غيره أضله إِنَّمَاٰنَّا وَأَقُولُ لِهؤُلَاءِ الْمُفْسِدِينَ: مُوتُوا بِغَيْطِكُمْ، إِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ بِقَاءُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَحْفَظُ إِنَّمَاٰنَّا لَهُمْ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ.

وأقول لكل العرب: هذه جريمة لا يكفرها إلا الإلقاء عنها، والتوبة منها، والندم على ما حدث منا، والعزم على عدم العودة إليها فلنعلم أبناءنا لغة دينهم وقرآنهم، ولنعتز بهذا، ولننضرب على أيدي المفسدين لأجيال الأُمّة بداعهم عن لغتهم، ولننفضح مخططاً لهم، ولننعرض أبناءنا ما فاتهم، اليوم قبل الغد ولو من قوت يومنا، إن لم تقم المدارس بهذا، فهذا واجبنا الذي سنسأل عنه بين يدي الله يوم القيمة، ولتنتما فر جهود جميع المخلصين؛ لإعادة لغتنا إلى مكانتها التي أراد الله لها بتشريفها بنزول القرآن، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

- تربية العقلية التجميعية:

لكي يربى القرآن العقل ويجعله منتبهاً متيقظاً، كان التشابه العجيب بين كثير من آيات القرآن واللحظة التي تقرأ فيها، وأنت غافل ستجد نفسك ذهبت إلى سورة أخرى فيها نفس الآية أو نفس الختام.. كذلك كان ما أيسره على الله أن تكون سورة الاقتصاد، وسورة المجتمع، وسورة الحرب، وسورة السلم، وسورة العلاقات الأسرية... إلخ، ولكن ما نراه في القرآن أن كل موضوع يحتاج لكي يجتمع له قواعده وتوجيهها به الربانية أن تقرأ القرآن كله، فقد توزعت في سوره جميعاً تقريباً كل ما تحتاجه؛ لتدريب عقلك أن يكون تجميعياً وليس تجزئياً ضيق الأفق، وتحتاج على كل أوامر ربك ونواهيه فهي متكاملة، وتعلم أن كل ذلك طاعة وكل ذلك عبادة (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء/ 82)، أبداً ولكن حالاً مرتاحاً كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة البقرة، يقول الشيخ الشعراوي - أحجز تلاوة جديدة للقرآن كله بأن تبدأ بقراءة الفاتحة وأول سورة البقرة،

يرحمه الله - إن آخر حرف في القرآن هو السين في سورة الناس وعليه كسرة وليس سكون، لماذا؟ لكي تقول بعدها: والناس بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، فلا تقطع صلتك بالقرآن أبداً؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرأها من كتاب الله كما يشرك الحبيب المصطفى (ص).

- ابحث عن نفسك في القرآن:

هل تجد نفسك في آية من آيات القرآن تشعر أنك واحد من تحدث عنهم الآية؟ انظر في المرأة لترى نفسك وتراقب حالك وأنت تتلو قول الله - عز وجل -: (قُلْ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا أَرْفُسْهُمْ لَا تَقْذِطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْبَيْدُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْتَمِعُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمُّ لَا تُنْدِصِرُونَ * وَإِذَا دَعَوْتُمْ أَحْسَنَ مَا أُرْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ زَفْسُوسْ يَا حَسْرَتَمَا فَرَّطْتُ فِي حَذْبِ اللَّهِ وَإِنَّ كُنْتُ لِمَنِ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ حَيْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُهْسَنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتِكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الْمَذْوِي لِتَمُوتَكَبِّرِينَ * وَيُنْذَجَّي اللَّهُ الْمَذْءُونَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسُسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْنَزُونَ * اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَلِيلٌ (الزمر/ 53-62)، ولا تعليق بعد الدرر الغاليات التي شملت كل حالات البشرية.

المصدر: مجلة المجتمع/ العدد (1900)